بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن أبرز ما دفعني نحو إصدار هذا الكتاب: "فلسطين في صراع الشرق الأوسط" طبيعة عملي سفيراً لفلسطين، ورؤيتي الشاملة لطبيعة الصراع في منطقة الشرق الأوسط، وطبيعة الأسئلة التي كنت أتلقاها في المحاضرات والندوات التي كانت تقام حول القضية الفلسطينية.

ورأيت أن يتصف هذا الكتاب بالشمولية، وأن يجمع بين دفتيه القضايا الأساسية التي لا غنى عنها في دراسة القضية الفلسطينية. وقد استغرق إعداد هذا الكتاب أكثر من ست سنوات.

إن أهمية الموقع الجغرافي لفلسطين جعلها على الدوام محلاً للاستهداف، حيث تتوسط مفارق الطرق بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. وتتوسط بموقعها العالم العربي، حيث تقع في هذه الزاوية الإستراتيجية الحرجة، التي تمتد من أبو قير في الإسكندرية إلى عكا في فلسطين، وعبر التاريخ ظلت هذه الزاوية الجنوبية الشرقية لحوض البحر المتوسط تنصّب الإمبراطوريات، وتهدم الإمبراطوريات.

ففلسطين ملتقى الحضارات عبر التاريخ، ومهد الديانات التوحيدية الكبرى الثلاث.

كان الفصل الأول في هذا الكتاب يتعلق بمباحثه الخمسة بالخلفيات التاريخية، فالمبحث الأول فيه عن الشرق الأوسط والصراع فيه، وأهميته، وكتلته الحضارية، والجبهة الاستعمارية الموحدة. أما المبحث الثاني فيه فهو عن تاريخ اليهود وممالك بني إسرائيل، والتراث اليهودي، والأرض، والوعد الإلهي في الأسفار، والعرق اليهودي، ورحلتهم في التاريخ. أما المبحث الثالث فهو عن الصهيونية والعوامل الممهدة لقيامها وعن الصهيونية السياسية والصهيونية العملية، والصهيونية التوفيقية ثم الصهيونية التنقيحية وأخيراً الصهيونية المقاتلة، ودور كل منها وخطورتها وروادها الأوائل، وكذلك الصهيونية المسيحية الحضن الذي نمت وترعرعت فيه الصهيونية اليهودية. أما المبحث الرابع في فصلنا

الأول فهو الدور البريطاني الكبير واللامحدود في تهويد فلسطين، وإصداره وعد بلفور، وترتيب اتفاقية فيصل- وايزمن، ومؤتمر بنرمان، ومؤتمر باريس، ومؤتمر سان ريمو، والكتب البريطانية البيضاء، ومؤتمرات لندن، ودفع الهجرة، والتقسيم، وإنشاء القدس الجديدة، ومرسوم تحديد حدود فلسطين، وغيرها الكثير الذي مكّن الصهيونية من الاستيلاء على الأرض وإعلان دولتهم.

وختاماً لهذا الفصل التمهيدي يجيء المبحث الخامس والأخير ليحكي عن المقاومة الفلسطينية العربية للمشروع البريطاني الصهيوني الساعي لتهويد فلسطين، وعن الثورات الفلسطينية المتلاحقة.

أما الفصل الثاني فهو عن مشاريع التسوية كافة وعن المطالب الأساسية للحركة الوطنية، وخلاصة تقرير اللجنة الملكية "بيل" ومشروع التقسيم، وموقف الحكومات العربية، وقرار التقسيم رقم 181 والقرار رقم 194، وقرار مجلس الأمن الدولي رقم 242، 338 ودور الولايات المتحدة الأمريكية وخطورته، ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وما أحدثته من تداعيات في الموقف العربي، وخروج مصر من الصراع العربي- الإسرائيلي.

وأما الفصل الثالث فكان عن المؤتمر الدولي للسلام في مدريد والمبادرات السياسية قبل مدريد، وفكرة القبول بالقرارين 242، 338 كأساس لعملية سياسية، والرحيل الفلسطيني عن لبنان، والانتفاضة الشعبية الكبرى، ومبادرة شولتز، والقمة العربية في الجزائر، وحوار أمريكا مع منظمة التحرير الفلسطينية، ثم حرب الخليج الثانية وآثارها الكارثية على الموقف العربي.

أما الفصل الرابع فقد تم تخصيصه بكامله لاتفاق أوسلو وبجولاته الاثنتي عشرة جولة، والرسائل المتبادلة، وكذلك قراءه في اتفاق إعلان المبادئ، والاتفاقات الموقعة واستحقاقاتها.

والفصل الخامس خصصناه للقضايا الأساسية للمرحلة النهائية، فالمبحث الأول فيه عن اللاجئين، والسياق التاريخي لتطور قضية اللاجئين، والأوضاع القانونية للاجئين، وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، والفكر الاستراتيجي الصهيوني في تفريغ الأرض بمراحله الثلاث، أما المبحث الثاني فهو المياه وأهميتها وقيام الاحتلال بسرقتها ومصادر المياه، والأطماع الصهيونية المبكرة فيها، والموقف الفلسطيني في موضوع المياه، والمبحث الثالث كان في الاستيطان والمنشأ الاستعماري

لفكرة الاستيطان، ومراحل الاستيطان قبل 1948، وما بعد قيام دولة إسرائيل، وكذلك قراءه في خرائط توزيع المستوطنات الإسرائيلية في الضفة وقطاع غزة.

أما الفصل السادس والأخير فهو يبحث في إشكالية بناء الدولة الفلسطينية، حيث المبحث الأول يعالج إشكاليه الدولة الفلسطينية في فكر الحركة الوطنية الفلسطينية، والمبحث الثاني يعالج إشكالية الدولة الفلسطينية من وجهة النظر الإسرائيلية، والمنطلقات الفكرية والأهداف الإستراتيجية، والأمن القومي ومشاريع الشخصيات الصهيونية لمقترحات حلول، وكذلك مشاريع الأحزاب. والمبحث الثالث والأخير هو القدس عاصمة الدولة الفلسطينية، ويشتمل على بناة القدس، والآثار التي وجدت بها، وأسمائها، والاستيطان اليهودي بها، والمؤسسات الصهيونية التي أقامتها بريطانيا بها، والقدس الغربية، والقدس الشرقية، والوضع القانوني للقدس والقانون الأساسي الإسرائيلي، والحل الديني، والحل البلدي، والحل الجغرافي في التصور الإسرائيلي، وكذلك المواقف العربية والدولية.

وعبر هذه الفصول الستة التي أوجزنا معالمها الأساسية وعبر تاريخ فلسطين الطويل في سياق الإمبراطوريات وعبر مراحلها المختلفة ظلت على الدوام هي أرض الشعب الفلسطيني رغم كل الموجات التي مرت عليها ابتداء بهجرة العبرانيين إليها في حوالي 1200 ق.م، ثم فترة الحكم البابلي/ الفارسي حيث لم يدم طويلاً حكم الدولة البابلية بعد موت نبوخذ نصر عام 562 ق.م حيث سقطت هذه الدولة بيد الفرس عام 539 ق.م، ثم استمرت تحت الحكم الفارسي حتى عام 333 ق.م عندما استطاع الإسكندر هزيمة القدس، واستمرت فلسطين تحت الحكم السلوقي حتى ضعفت، ثم وقعت فلسطين تحت حكم الأسرة الحشمونية حتى هزمها الرومان عام 63 ق.م. واستمرت فترة الحكم الروماني حتى عام 324م، ثم فترة الحكم البيزنطي التي بدأت عام 324 عندما اعتبرت الديانة المسيحية ديناً للدولة الرومانية، وفي عام 610 الذي جاء فيها الإسلام إلى عام 622 قام الفرس بهجمات على الدولة البيزنطية لكن هرقل انتصر على الساسيين، وانتهت سيطرة الرومان على يد المسلمين في معركة اليرموك في 636م، واستمرت فلسطين بعد أن عادت إلى عروبتها 14 قرناً متواصلة لم يقطعها سوى الحملات الصليبية عام 1099م.

وبعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى دخلت بريطانيا القدس في 1917/12/9 تحمل معها المشروع الصهيوني الذي أخذ صيغة وعد بلفور، وانتدبت نفسها على فلسطين وأصدرت مرسوم تعيين حدود فلسطين في 1922/9/1 ليتم اقتطاعها من محيطها العربي، ولتقوم دولة إسرائيل على أرضها حسب القرار 273 في الدورة الثالثة بتاريخ 1949/05/11 لتصبح عضواً في الأمم المتحدة. وكان هذا القرار مشروطاً حيث يجب أن تقبل إسرائيل بالالتزامات الواردة في الميثاق.

واتبعنا في أسلوب هذا الكتاب منهج البحث التاريخي التحليلي للقضية الفلسطينية جذورها تطورها، ويأخذ بالجانب الوصفي والإحصائي وبالفرعيات التي قد تؤخذ في شمولية الموضوع من أسباب تاريخية واقتصادية وسياسية وإستراتيجية.

وتخيرنا لهذا الكتاب مئات المصادر والمراجع العربية والأجنبية من كتب دينية ووثائق وموسوعات، وكتب عربية و أجنبية، والدوريات و التقارير ومما أتاحه لي موقعي كسفير بالالتقاء الدائم مع معظم القادة فلسطينياً وعربياً ودولياً، وحضوري لعشرات المؤتمرات العربية والدولية حول فلسطين.

إن قضية فلسطين تعتبر في العلوم السياسية من الصراعات الممتدة، فمن موسى كاظم الحسيني أول رئيس للوطنية الفلسطينية في عام 1920، إلى الحاج أمين الحسيني في 1936/4/25 إلى أحمد الشقيري في 1964/5/28 إلى يحيى حمودة في ديسمبر 1967 إلى ياسر عرفات في 1969/2/3 إلى محمود عباس في 2005/1/15 وإلى يومنا هذا ظل هذا التواصل عبر أكثر من تسعين عاماً متواصلة، ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب ليراكم التجربة الفلسطينية باستمرار للأجيال الحالية والقادمة والله ولي التوفيق.

وأتقدم بالشكر الكبير إلى كل الذين أسهموا معي في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود.

د. عمر محمود شلايل